رابام
الكاله

رسالة في القضاء والقدر للسيد شريف ولجناب الشيخ اعلى الله مقامه مرجع في المجلد اعلاه

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الهادين الى نهج اليقين بواضح التبيين وعلى
التابعين المقتدين بهداهم في الدين وبعد فيقول العبد المسكين احمد بن زين
الدين هذه كلمات ذات تبيين وسداد في بيان القدر في افعال العباد وصفتها على
تقرير السيد شريف وفيها الكلام وتزييف متمم للاقوال من الثلاثة ما نقص من احتجاج
غير مبين لاستقامته واعوجاجه ثم ارفع للحق اعلام منهاجه وارد على مذهب من خا
لف الحق ببعض النقض لانه لنصرة الحق على فرض كفتيها اذا امرني بذلك شيخي الحليم الاواه
حسن السمت والهدي الشيخ عبد الله بن دندن اثابه الله ايامنا ببقائه وجعل همه
في الاستعداد للقائه انه على كل شيء قدير قال السيد شريف اعلم ان مسئلة القدر في الا
فعال الاشياء زلة العباد بين الغوامض التي تحيرت فيها الاوهام واضطربت فيها آراء الا
نام اقول اعلم ان الله سبحانه لم يظهر شيئا مما في خزائنه الا مبينا مشروحا على الكمال
املاء تحتمله العبارة واجمالا ايماء تحتمله الاشارة ويكون شرحه وبيانه في كل بحسب ما
ظهر ظهر بيانه وما بطن خفي برهانه وذلك بحسب احتمال الاشياء عنه سبحانه واليه الا
شارة بقوله تعالى فسالت اودية بقدرها وتبيينه سبحانه لذلك في القرآن وفي العالم
وفي انفس الخلق وهو معنى اسرار الله في خلقه ثم لما كان المخاطب والمكلف والمعروف
انما هو الانسان لانه اكمل اصناف الخلق لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فيلزم
كماله ان يكون جامعا وان يكون مملكا قال تعالى خلق لكم ما في الارض فيكون مختارا
والا لم يكن جامعا مملكا ولكن على وجه يليق بانشاء الله تعالى وكونه مختارا لانه صنع
المختار قال الله تعالى فجعلناه سميعا بصيرا فوجب لكونه مملكا ان يكون له من
نفسه داعيان متضادان وهما العقل والنفس فالعقل عن يمينه يدعوه الى الله
ابدا ويدعوه الله منه قال تعالى وناديناه من جانب الطور الايمن والنفس عن
شماله تدعوه الى خلاف العقل بما يقتضيه طبعها ان النفس لامارة بالسوء ومعنا
هما ان المخلوق له اعتباران اعتبار من ربه وهو العقل واعتبار من نفسه وهو
النفس وكل منهما يصلح ان يسكنه الانسان وهما جناحان فقد يطير الانسان في
اية من ايات الله افاقي الكتاب التكويني وهو العالم او التدويني وهو القرآن او في عالم

الصفحي الذي هو أنموذج منهما والمثل لهما وهو الانسان نفسه فيشتبه عليه الداعيان
لشدة تشابه كل منهما بالاخر والتشابه مقتضى كل منهما بالاخر وبيان هذا الالتباس كثير
في القرآن كقوله تع فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء
حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فجعل زبدا رابيا والباطل زبدا
مجتثا وكذلك قوله تع كشجرة خبيثة فاذا نظر في اية من احدى الكتب الثلاثة قد يلتبس
عليه الداعيان الباديان منه داعي العقل وداعي النفس فلا يهتدي الى الحق فاكمل الله
عليه الحجة بالانبياء والحفظة الذين لا يلتبس عليهم الداعيان لما اتاهم من مدده
بحسب استعدادهم وتأييدهم بذلك قال الله تع الله اعلم حيث يجعل رسالته
فمن حصل له اللبس وعمل بما امر الله به من الرد الى الله والى الرسول والى اولي
الامر نجا لانه قولهم محفوظ عن الباطل لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ولا
من باطنه ولا من ظاهره لانه من عرف باطنه عرف ظاهره وفاز من الحظ الاوفر و
النصيب بالمعلى والرقيب ومن لم يعرف باطنه وسلم لظاهره نجا لموافقته للبد
يهة والفطرة والعقل الطبيعي الاولي الذي لا يخلوا منه مكلف وكان من قولهم
ع في هذا الشأن لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين ويأتي الكلام في هذا
المقام انشاء الله تع ومن لم يسلك هذا الطريق المظلم بمصباح يهتدي به سلك
البتر وهلك فيه وصدق الشريف في قوله تحير فيها الاوهام واضطربت فيها [illegible]
الانام وان كان من اولئك المضطربين ويأتي بيان اضطرابهم والسبب في الا
ضطراب في المشائين ما ذكرناه مرتين ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
قال فذهب جماعة يريد بهم المعتزلة اصحاب واصل بن عطاء وهو اول من بالمعتزلة
بين المنزلتين وكان من اكابر تلامذة ابي الحسين البصري فلما احدث واصل
يقول في المنزلة بين المنزلتين واعتزل بالحسين البصري واصحابه قال ابو
الحسين اعتزل واصل فسموا بالمعتزلة وهو واصحابه الى ان الله اوجد العباد
واقدرهم على تلك الافعال بانه خلق لهم الالة والصحة وهي القوة التي يكون العبد
بها متمكنا مستطيعا للفعل وتهيئة الاسباب المناسبة وهذا مذهب اهل
العدل الامامية والمعتزلة الى هذا الحرف وفوض اليهم الاختيار فهم
مستقلون بايجادها على وفق مشيتهم وطبق قدرتهم وهذا الحق بالمعتزلة وقو
لهم هم مستقلون تفريع على قولهم وفوض اليهم الاختيار يعني ان الله سبحانه
بعد خلق الالة والصحة وتهيئة الاسباب ليس لهم في افعالهم الا امرهم ونهيهم

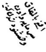
القول بان الله اراد لا مدخل لهما في الفعل والترك بوجه وما سبق من الادلة والصحة هو معنى
اقداره اياهم على الفعل وفعلهم الطاعة والمعصية بمشيتهم ومن عموا انه تعالى اراد منهم الا
يمان والطاعة ارادة محبة قولي فحسب وكره الكفر والمعصية كراهة ضد المحبة بنهي قو
قالوا وعلى هذا يظهر امور اي فوائد امور يصح بها الاعتقاد الاول فائدة التكليف
بالاوامر والنواهي وفائدة الوعد والوعيد يعني ان العبد اذا لم يستقل بالفعل
لم يصح امره ولا نهيه لانه اما ان يستقل بفعله او يستقل به غيره او يشاركه فيه
والاخيران باطلان ضرورة ان المستقل بالفعل هو المامور به والمنهي عنه فاذا كان
غير الانسان توجه الامر اليه فيرتفع التكليف عن العبد ويقع التكليف في الامر للامور
وعلى التشريك يكون الامر والنهي لك والواقع خلافهما فثبت الاستقلال بالفعل
في الامر والنهي وفائدة الوعد بالثواب لا يكون لعبد على فعل غيره ولا يستقل بالثواب
مع التشريك في موجبه والوعيد بالعقاب لا يكون على عبد بدون [illegible] وكذا في التشر
يك ولا تزر وازرة وزر اخرى هذا في دار التكليف الثاني استحقاق الثواب
والعقاب في دار الجزاء اذ لا يستحق ثواب ما لا يعمله ولا عقاب ما لا يفعله لقوله
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ونحو ذلك
من الايات والعقل شاهد بحسن هذا وقبح ما سواه الثالث تنزيه الله تعالى عن ايجاد
القبائح التي هي انواع الكفر والمعاصي وعن ارادتها يعني انا لو قلنا كما نقول الاشاعرة
انه لا مؤثر في الوجود الا الله لزمنا ان نقول انه اوجد الكفر في الكافر وجميع ما نهى
عنه فلو كان كذلك لكان يقبح منه ان يعذب الكافر على ما لم يكن منه وهذا عند كل عاقل
قبيح انه يامر السيد عبده بالمضي او يلقيه من سطح ثم يعاقبه لم مضيت ولم وقعت
ويعاقبه على ذلك وهذا قبيح لا يجوز من الغني المطلق العالم بقبح القبيح وحسن
الحسن ومثل الفعل ارادة ترك القبح والحسن وعلى اصلنا من ان العبد فاعل الحسنة
والسيئة باختياره مستقل بالفعل والاكتساب صح الامر والنهي والمدح والذم
والثواب والعقاب ويكون سبحانه منزها عن ايجاد القبائح وعن ارادتها ولهم
شواهد من ظاهر الكتاب والسنة كثيرة جدا لا يحتاج الى ايراده لكنهم غفلوا
عما يلزمهم فيما ذهبوا اليه وهو اثبات الشركاء لله في الايجاد حقيقة حيث
لا مؤثر في الوجود عند الاشعري الا الله فاذا اثبت ان العبد فاعل كان شريكا
لان الفعل تاثير يكون منه تاثر المفعول به والتاثير وجود ولا يفيض الوجود
الا من الحق سبحانه قال المعتزلة لا يثبت موجودا الا ما اثبته الله العالم

بما خلق حيث و تخلقون افكا و هو ضيق الآن فيه و اذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت
عليه الآن اغناهم الله من فضله و اذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى وغير ذلك
قال الاشعرى اسناد الفعل الى الفاعل مجاز و هذه الآيات من المتشابه و ترد الى المحكم و هو
قوله نعم والله خلقكم و ما تعملون و الموصول حرفى اذ الاصل عدم تقدير الضمير و هو
شاهد بخلق الاعمال قال المعتزلى ما تقولون نرى ادلتنا تقول فى ادلتكم والموصول
اسمى وحذف عائده قياسى و بالجملة بهذه المناقشة التى لا تفكون عنها فيما استردوا
الله فاتوا ما نعذ والحاجب و لو ردوه الى اهله لكفاهم من القيل القليل و لا شبهة
فى ان اى اثبات الشركاء فى الايجاد حقيقة اشنع من جعل الاصنام شفعاء عند
الله حيث انه سبحانه توعد من قال بذلك ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى
ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار فحكم
عليه بالكذب و الكفر ولم يجعلوهم اربابا على الحقيقة بل جعلوهم غير مستقلين فى
الفعل و انما هم شفعاء فما ظنك بمن جعل العبد فاعلا مستقلا فانها مقالة
اشنع من تلك و ايضا يلزمهم ان ما اراده ملك الملوك لا يوجد فى ملكه وان ما لم
يكون موجودا فيه و ذلك نقصان شنيع فى السلطنة والملكوت و ذلك ان ملك
الملوك سبحانه اذا اراد من زيد الصلوة ولم يصل و كره الزنى و زنى كان فى ملكه
ما لا يريد ولم يكن فيه ما اراده بل ما شاء الله كان و ما لم يشاء لم يكن واذا
كان نحو كذلك لم تكن سلطنته تامة و ما كان كذلك لم يكن عظيم السلطان ويكون
ملكوته ناقصا لان ملكوته تابع لارادته و يجب ان يكون الملكوت مطابقا
للملك والملكوت فى الملك كالروح فى الجسد والملكوت فعلوت من الملكوت
للمبالغة كالرحموت من الرحمة والرهبوت من الرهبة فاذا اراد الصلوة
من زيد كانت صورتها فى الملكوت فاذا لم يصل زيد اضمحلت الصورة لان
الصلوة لا تقوم بدون المادة فكان نقصا فى الملكوت واعلم ان كل مفتون مفتون فى
حجته وقد نصب الله لكم مرايا ومعلمين فمن اراد ان ينظر وجهه فى المرآة
الصافية وهى القرآن والسنة فمن لم يدرك صفة وجهه لضعف بصره فليرد الى
فوق البصر ليريه صفة وجهه وهم المعلمون حيث الله يقول وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وهم الذين قال الله فيهم لمن كان
له قلب والمتعلمون هم من القى السمع وهو شهيد [illegible] ما القى اليهم من المعلم
والباقى اوجب الله عليهم الرد الى المتعلمين الذين عقلوا عن المعلمين فانهم

الوساطة بين الرعية وبين الراعي ولا يجوز لاحد من الرعية ان يسلك طريقا بدون
الوسائط من قوله تعالى وجعلنا بينهم اي بين الرعية وبين القرى التي باركنا فيها وهم
الراعون قرى ظاهرة وهم الوسائط وقدرنا فيها السير اي لابد لكل سالك من ان
ينزل في القرى الظاهرة والسير فيها اي في خلالها وفيما بينها ليتقدم مما يحتاج
اليه منها في مسيره ليالي مما افتيكم به عن المعلمين مما لم تعرفوا ماخذه ولا تعقلوه
واياما مما عرفتم دليله من المتعلمين عن المعلمين وعقلتموه او بالعكس على احد
التاويلين امنين من العثرة والضلالة فارجعين بذلك عن الغفلة والجهالة وفي
رواية ان المراد بالقرى الظاهرة هم المعلمون ظاهرا وان المامورين بالسير هم
المتعلمون وان القرى التي بارك الله فيها هي علاماته سبحانه ومقاماته التي لا تعطيل
لها في كل مكان ولذلك قال الصادق ع لا جبر ولا قدر ولكن منزلة بينهما فيها الحق
التي بينهما لا يعلمها الا العالم او من علمها اياه العالم او اراد ع بلا قدر لا تفويض فقالوا
ربنا باعد بين اسفارنا اي لا نحتاج الى الوسائط وظلموا انفسهم اي وضعوها في
غير مواضعها فجعلناهم احاديث اي مثلات ومواعظ والسعيد من وعظ بغيره
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين قال وذهبت طائفة والمراد
بهم اصحاب ابي الحسن الاشعري الى انه لا مؤثر في الوجود الا الله المتعالي عن الشر
يك في الخلق والايجاد كما انه متعال عن الشريك في الخلق والايجاد وكذا يتعالى عن القبح
والالحاد وقد يقضي بيان وجه الشركة عندهم في قول المعتزلة يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد بهذا ان الحق فان حكاه وليس في الحقيقة فيها للاشعري حجة لانه سبحانه اجرى
حكمته مشيته على وجهين وياتي بيان المشيتين انشاء الله تعالى لا علة لفعله ولا
راد لقضائه لان العلة لو كانت لزم الدور والتسلسل ان انحصرت في معلولها
وان انتهت اليه لزم الحاجة والكل محال اما الاول فلو خلق الاشياء كلها لعلة
فاما ان تكون ذاتية او انتهت اليها او لا فان كانت ذاتية او انتهت اليها لزم الا
حتياج وان كانت غير ذاتية فهي مخلوقة اذ لا واسطة ومعلولة والا لم تكن
تفعل علة فان انتهت الى الواحد جاء الدور وان ترامت جاء التسلسل فلم يكن
الا انه يفعل لا لعلة ولا راد لقضائه معلوم بالعقل والنقل ويلزم منه ان الاشيا
كلها بقضائه خيرها وشرها وحلوها ومرها والا كان في ملكه ما لم يقضه واذا كانت
كلها بقضائه لا فعل للعبد مع فعل الرب لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لان افعاله
لا تجري على العلل سوى ذاته وهو يحكم ما يريد ولا يحكم عليه وهم يسئلون لانه

بحكم علومهم ويسئلهم عما اجراه على ايديهم كما اجراه على ايديكم بلا سبب سوى ذاته ولذلك
ايجاد للعقل فى تحسين الافعال وتقبيحها بالنسبة الى حسن صدورها كلها عنه تعم
لعدم العلة فى فعله ولقدسه ولعموم قدرته فكل ما يفعل المحبوب محبوب والاسباب التى
ارتبط بها وجود الاشياء بحسب الظاهر بحيث تترتب عليها المسببات ظاهرا فى بادى الرأى
ليست اسبابا حقيقة لان الاسباب سواء كانت تامة او ناقصة لابد وان يكون اما
ان استقلت به فى المسببات تاما كان او ناقصا وقد تقدم انه وجود ولا يكون من غير
الواجب تعم واذا ثبت ذلك فلهم انه لا مدخل لها فى وجود ما لان الارتباط الظاهرى
والمعبوة به لكنه اجرى عادته بانه يوجد تلك الاسباب اولا ثم يوجد تلك المسببات
عقيبها والوجدان شاهد بعدم وجود العادة وعدم الوجوب يدل على عدم الله
السببية حقيقة والا اجتمع النقيضان فكل من الاسباب والمسببات صادرة عنه
ابتداء لعدم فقط الى الغيرة وقالوا فى ذلك تعظيم لقدرة الله وبيان كل شئ منه
وبه وله واليه وتقديس لها عن شوائب النقصان بالحاجة البادئة للسببية فى
التاثير الى امر اخر وصرف الى متعلق بالحاجة اى الاحتياج فان من احتاج فى تاثيره
فى معلوله الى سواه يكون ناقصا وتمامه بذلك السواء واذا قيل بعدم التاثير
من سواه مطلقا كان تنزيها للقدرة عن شوب النقصان ثم قال السيد وذهب اخرون
وهم الحكماء الالهيون الى ان الاشياء فى قبول الوجود من الواجب الوجود
واذا نسبت الاشياء اليه فى القرب والبعد والشدة والضعف متفاوتة لا له
لا العكس لان نسبته سبحانه الى جميع الاشياء نسبة واحدة لا تفاوت فيها قال تعم
ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت اى فى فعله لان المتفاوت متهافت فبعض منها

لا يقبل الوجود الا بعد وجود اخر لانه ما نقصت قابليته عن قبل وجوده لو
كان موجودا قبل تمامها الكانت الاشياء كلها على حال واحد والواقع بخلافه والايات
الشهودية بخلافه فيكون وجود ذلك الاخر تمام قابلية لوجوده كالعرض الذى
لا يمكن ان يوجد الا بعد وجود الجوهر لنقص قابليته عن قبول وجوده وتمامها
وجود الجوهر الذى يحل فيه ونقص قابليته ليس من نقص فى القدرة ولكن لضعف
وجوده بالنسبة الى الجوهر الذى لا يتوقف على وجود غيره مثلا فلو تعلقت
القدرة بوجوده بدون الجوهر لان وجود المتحيز شرط فى وجوده وتمام قابليته
فالعجز والنقص منه لانه سبحانه اغنى واقنى واعطى بالنسبة اليه سبحانه دفعة
واحدة وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فسالت اودية بقدرها فقدرته نعم



فى غاية الكمال الكامل تفيض الوجود على الممكنات بحسب قابلياتها المتفاوتة والكاذ درجات
مما عملوا فبعضها صادرة عنه بلا سبب كالعقل الكلى مثلا وبعضها بسبب كالنفس
الكلية بواسطة العقل او اسباب كسائر الموجودات وتلك الاسباب لها مدخل فى
وجود ذلك البعض وان لم تكن الاسباب اسبابا لانها تمام القابلية مسببها للوجود
والقابلية بسبب الوجود انفعال الممكن فى الحقيقة عند فعل الحق سبحانه وذلك
لتتم القابلية عن الحق لا لنقصان فى القدرة بل لنقصان فى القابلية للعجز عن
الاستقلال وللطف الفاعل ورحمته وكيف يتوهم النقصان والاحتياج فى القدرة
مع ان السبب المتوسط صادر عنه ايضا وهو الجوهر فى المثل المتقدم متوسط
بين فعل الحق سبحانه وبين العرض فالله سبحانه غير محتاج فى ايجاد الاشياء الى ما
ليس بصادر عنه اقول لا نرى فى هذا الكلام ان مفهوم الصفة حصر المنفى الحاجة
فى المنفى المنفى بل اراد وانفى الحاجة عنه الى كل شىء فى القدرة وكلما اراد وانه ليس
فى مخلوقاته ما يتوقف وجوده على ما ليس بصادر عن الله ولا بالله وقالوا الاربعة
وجود موجود على اكمل وجود داخل فى حيز الامكان العام ولا ريبة فى ان صدور الممكنات
عنه على ابلغ النظام منه سبحانه واحسن الانتظام فيما يرتبه فالصادر عنه هو الموجود
لان الوجود عند المتكلمين ومن حذا حذوهم عرض حال بالماهية او قائم
بها وعند الاشراقيين ان الوجود هو الموجود والماهية قائمة به وثابتة عنه واختلف
المتكلمون والحكماء من الرواقيين والمشائين هل الماهية مجعولة ام لا وليس هذا محل
الكلام فيها والحق انها مجعولة بالوجود اى بجعل الوجود جعلا ثانيا وبالعرض
وحيث كان كلام القول الثالث فى القول للاشراقيين الذين يذهبون الى ان الوجود ٢ بهذا الحج
هو الموجود قالوا ان الصادر عنه واراد وابن المفهوم ومن المعلوم ان الصادر عن
الموجود سبحانه انما هو الوجود وهو الموجود اما خير محض كالملائكة وذلك ان الحدث
من حيث هو يلزم من الاعتبار ان الله ان ذكرنا هى ايضا وهو الفقير الغنى من خالقه
والفقر من نفسه فالغنى والخير فى المخلوق هبة من الوهاب الواجب وتلك الهبة
نفسها فقيرة الى واهبها قال تعالى ومن كل شىء خلقنا زوجين فالكلمة العليا هى الخير
المحض بحكم التنزيل وهو الملك والكلمة السفلى هى الشر المحض وهو الشيطان فاسمع
ثم ثم احفظ ويأتى بهذا الكلام واما بكسر الهمزة ما يكون الخير منه غالبا على الشر ٢ تمام حج
كالانسان وسائر الحيوان واما ما قابل الملك فلانه وراء الخير وخلقه موجود
وان كان شر المحضا فى نفسه ولكن ايجاده الذى هو من الخير غالب على عدميته

التي هي الشر لان ايجاده من تمام ايجاد ضده ولازم قيامه ومن نهاية قوامه فالخير
غالب على الشر ورحمته وسعت كل شيء فان مع العسر يسرا ان العسر يسرا فتكون
الخيرات داخلة في قدرة الله بالاصالة لانها وجود والوجود خير كله ولانها صفة
القدرة ومنه واليه يصعد الكلم الطيب والشرور اللازمة للخيرات داخلة
فيه بالتبعية لكون وجود الشر بتبعية وجود الخيرات ولانها صفة نفس الصفة
وبلا منه ولا اليه فمن ثم قيل ان الله يريد الكفر والمعاصي الصادرة عن العباد
وارادة تابعة لارادة الخيرات لا ارادة ابتدائية ولكن لا يرضى بها لان الرضى
اول والسخط اخير وفي الحديث القدسي سبقت اي ذاتية رحمتي غضبي فالغضب و
السخط يترتبان في وجودهما على الحمد والرضا كل منهما مقابلة والارادة الابتدائية
يساوقها السخط فارادة الكفر والمعاصي تابعة لارادة الايمان والطاعة على
قياس من لسع الحية وهي التي تقتل كالحية المسماة بنت طبق وغيرها من الحيات
اللاتي لا علاج لها الا بالقطع اصبعه وكانت سلامته موقوفة على قطع اصبعه
فانه يختار قطعها اي قطع اصبعه بارادته وهي ارادة تابعة لارادة السلامة ولهذا
قالوا الكون بتبعية ارادة السلامة لان القطع شرط السلامة فلزم ارادة السلامة
ارادة القطع ولولاها اي ارادة السلامة لم يرد القطع اصلا فيقال هو يريد السلامة
ويرضى بها ويريد القطع لاجل السلامة لا لذاته ولا يرضى به لانه مكروه وانما
طلب لدفع ما هو اكره منه وهو السلامة المسلف اشارة الى فرق الدقيق بهذا الكلام
الشريف واراد بذلك ان الحكماء انما قالوا ذلك اشارة الى الفرق الدقيق بين
فعل الرب وفعل العبد في المعصية وانت تعلم ان اسلم العقائد عن الآفات
وهي العيوب التي لا يستقيم معها الاعتقاد واصحها عند ذوي البصائر
يعني بهم اشاعرة وعن الرضى عن كل عيب كليلة النافذة في حقائق المعارف
لا ريب ان نفوذ بصائرهم في الحقائق على نحو قوله تعالى عاجزة فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله فبالله عليك ايها الناظر الا ما نظرت بعين
الانصاف وتركت التعصب والاعتساف في هذه الثلاثة ثم اذا عرفتها وعرضتها
على الفطرة بالكتاب والسنة وصفا الحق ونهق الباطل فاختر لنفسك ما
يحلو قال ما ذكرناه ثانيا متوسطا بين الاول والثالث وانما وسطه في الذكر
ليرتب عليه قوله خير الامور اوسطها فلو كتب المعتقل بهذه المذاهب وجعل منه
ثانيا كان الحق معه وخير الامور اوسطها وكذلك الحكيم اذا جعل مذهبه متوسطا

انه تميز كما يعني السخط تبدي المساوي

بالكتابة كان الحق معهم وهذا فات التوهيم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء ربك ما
فعلوه ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم
مقترفون وليس يرضى به إلا أهل الغباوة ومن ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على ٢ ختم الله الخ
بصره غشاوة والله الملهم للصواب هذا الحرف محكم ومسلم وهو مما نحن فيه ولكنه نعم
ليس ملهما للخطاء نعم ربي نعم الرب واليه المرجع والمآب ليبين لهم الذين يختلفون
فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين واعلم أنك إذا أردت المذهب المتوسط
بحيث يستند إليه بخير الأمور أوسطها هو مذهب الحكيم وهو الأحرى والأذكى
لأن المعتزلي ذهب إلى أن الأفعال من العبد خيرا وشرا مستقل بذلك إلا ليس لأحد
من عباده فيها حال من الأحوال والحكيم من هذا التوسط بأن جعل الخيرات من
الله وبالله والشرور بالله لا منه لكون الشرور وجدت بوجود الخيرات فتكون
صفة نفوس الخيرات هو أوسط الثلاثة وضيوفا وهو الحق المبين والصراط المستقيم
وهو مبين أن الاعتدال الذي ضرب الله فيه الأمثال وكتابيا نرى بلسان أهل الشرع
وينبوع الأصل والفرع يحتاج إلى التقديم مقدمات وإشارات إلى بعض الآيات وشرح
الحال بنصب المثال فاعلم أنه لما فاض الوجود من كتم الغيب ظهرت به المهية لأنها
ضده وكل شيء له ضد إلا الواحد الفرد عز وجل فالوجود من الله واليه يعود والمهية
من الوجود واليه يعود فللوجود صفات وللمهية صفات وكل صفة من صفات المهية مقا
بلة لصفة تا العام من صفات الوجود والوجود وكل صفة من صفاته بإرادة أزمن
الله لما أنه ورضي به كذلك والمهية وصفاتها تمام إمكان الوجود وصفاته فإرادتها تا
بعة لإرادته فتكون الإرادة لها للوجود لا بد أنها فإرادتها له أنها ثانيا وبالعرض
وكذلك صفاتها في مقابلتها بالة صفات الوجود على نحو واحد فالوجود من الله واليه يعود
وإرادته له إرادة محبة ورضى أولا وبالذات والمهية من الوجود واليه وبالله لا منه
ولا إليه وإرادته لها إرادة عزم وقضاء لا محبة ورضى والأمثلة المضروبة لذلك
كثيرة جدا في العوالم ومنها الشمس وأشعتها الواقعة على وجه الجدار مثلا والظل
الممدود خلف الجدار فالوجود شعاع الشمس الظاهر عن يمين الجدار هو من الشمس
واليها يعود وإرادتها له في الظهور لو كانت مختارة مثلا في مقام الدور الرابع إرادة
محبة ورضى لذاته ولولا الجدار وكثافته لم تظهر الأشعة للبصر فالشمس بالشعاع
الظاهر أولى من الجدار ولولا لم يحس وإن كان موجودا عنده لا في ما ومثال المهية
الظل الظاهر عن شمال الجدار هو من الجدار واليه يعود لا من الشمس ولا يعود إليها

ولكنه بما ظهر ولولاها لم يظهر وان كان موجودا في الجدار بمعنى انه لا يوجد الا بها وارادتها
للظل في الظهور لو كانت مختارة كلك ارادة عزم وقضاء للمحبة ورضى اذ لو اجبرت رضية
لعادت اليها ولو عادت اليها لم يكن ظلا ولو لم يكن ظل لم يكن شعاع لان الجدار في المثل هو نفس
الشعاع من حيث نفسه لا من حيث الشمس وانما تسامحنا في العبارة للبيان فالجدار
اولى بالظل من الشمس ولولاها لم يكن وصفات الوجود وصفات الماهية بهذا النحو فاذا
لاحظت هذا المعنى وهذا المثال ولاحظت الداعيين المتقدم ذكرهما العقل والنفس ولا
حظت جهة الصلوح التي يأتي ذكره عرفت الطاعة والمعصية وارادتهما من الله ومن العبد
والى ما ذكرنا الاشارة بقوله تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت فمثل الطاعة
بالشجرة الثابتة الاصل لان الطاعة اصلها الوجود الثابت الباقي ببقاء ربه وقال تعالى
ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض فمثل المعصية بالشجرة المجتثة
لان المعصية من الماهية واصلها المجتث لانتهائه الى الامكان الممتنع من البقاء الا ثم
ومثله قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج
الا نكدا فاسند الخبث الى الخبيث ولكن اخروج نباته الى نفسه ومثله قوله تعالى
وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر فالقصد عليه والجور منها وقوله تعالى وما تشا
ؤن الا ان يشاء الله فاسند المشية الى العباد وجعل وجودها موقوفا على مشيته
وقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفاه عنه اولا واثبته ثانيا واسنده اليه
ظاهرا والى هذه الاولوية التي ذكرناها في المثال واثبات لها الآيات المذكورة الاستدلال
الاشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي انا اولى بحسناتك منك وانت اولى بسيئاتك
مني وبيانه في العبد انه سبحانه خلق في عبده الالة الصالحة للطاعة والمعصية خلقها
للطاعة لا للمعصية ولا يستتم خلقها للطاعة الا اذا كانت صالحة للمعصية ليجري الاختيار
وينتفي الاضطرار ويقع المعصية مع القدرة عليها وخلق فيه الصحة وهي القوة
التي يكون العبد بها متمكنا مستطيعا للفعل وتكون صالحة للضدين اذ شرط
التكليف باحدهما التمكن من الآخر وصحة الاقتدار ليتم الاختيار فصلوح الا
لة والصحة للطاعة والمعصية لازم لصلوحهما الداعيين العقل والنفس فاذا
صلح العقل والنفس لاستعمال الالة والصحة بمقتضى كل منهما وصلح العبد لا
ستعمال العقل والنفس لشهوته لمقتضى كل منهما لان العبد مظهر الامر كن فمن
الكاف جاء العقل ومن النون جاءت النفس صح الاقتدار على الطاعة والمعصية لان
الصلوح شرط الاختيار واذا لم يكن العبد مختارا كان مجبورا ولولا كونه مشية

العبد للطاعة من مشيئة الله لها بالذات وللمعصية من مشية لها بالعرض كما مرّ مكرّراً لزم
ان يكون في ملكه ما لا يريد وما لا يريد لا يكون والى هذه الشقوق الثلاثة الاشارة بقول
الرضا ع ان الله لم يطع باكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملّكهم
والقادر على ما اقدرهم عليه الحديث فلاجل هذا الصلوح الذي هو مدار الاختيار لم تكن
الطاعة لله باكراه ولان المكره غير مطيع ولاجل كون مشيّة العبد لمعصية الله من مشيّة
الله لها بالعرض فكون مشية الله لها بالعرض من تمام مشية الله للطاعة بالذات كما
مرّ فلاحظ فلاجل ذلك لم يعص بغلبة ولاحظ الصلوح المذكور آنفا هنا والى هذه المشية
اشار بقوله تع وما تشاؤن الّا ان يشاء الله ولاجل خلق الالة والصحّة التي يستعملها
العبد بالمشيّتين الاختياريّتين جاء التكليف ولم يهمل العباد في ملكه واشار الى الامر بين
الامرين بقوله هو المالك لما ملّكهم ملّكهم فقوله هو المالك نفي للتفويض كما قاله المعتزلي و
قوله لما ملّكهم نفي للجبر كما قاله الاشعري وهو قول الصادق ع لا جبر ولا تفويض ولكن
امر بين امرين والامر بين الامرين الذي اوسع مما بين السماء والارض هو ان الطاعة
التي هي من الله والعبد بامره ورضاه ومحبته ومشيّته لا تظهر الا بالعبد المختار على نحو ما
مضى فلاحظه تجد تلك الايمان وان المعصية التي هي من العبد واليه لا تكون الّا بالله
لا بامره ولا اليه ولا بمحبّته ولا رضاه ولكن بارادته التي هي ارادة الحتم الثانوي التي
عبّر عنها سابقا بالقدر والقضاء ولاحقا بانها ارادة بالعرض وتارة بالترك والخذ
لان وبخلقه الالة والصحّة فلذا كان سبحانه اولى بالحسنات من العبد ما اصابك
من حسنة فمن الله واستحقاق العبد الثواب عليها من جهة انّها لا تظهر الّا به على نحو
ما ذكره الحكيم من نقص قابليّتها وتمامها بما مسّ العبد فلذلك كان اولى بالسيّئات
من الله واستحقاق العقاب مع ظاهر المشاركة المفهومة من الاولوية من حيث انها
منه وانّ المشاركة الظاهرة بانها لا تظهر الّا بالله لا منه وليس كونها بالله من تمام
قابليّتها كما في الطاعة لان ما بالعبد في الطاعة من الله ايضا كما في الدعاء وجعل ماله
امتنّ به على عباده كفاء لتادية حقه وليس ما بالله في المعصية من العبد والّا لزم
التفويض والاستقلال فان قلت لم كان ما بالعبد في الطاعة من الله وذلك يلزم
منه الجبر في الطاعة قلت كلامنا كلّه ووضع هذه الكلمات انما هو لبيان هذه المنزلة بين
المنزلتين في القدر وبيان ذلك ليس ان نتكلّم به قبل الاذن لانه من المكتوم والمراد حاصل
على انه اذا ظهر لك الامر بين الامرين بلا لبس في المعصية فلا تطلب ما وراءه وان
ابيت الّا التمحّل فافهم قولي من الله ولا يؤذن في الزيادة ومعنى كون المعصية بالله خلقه

الالة والصحة والمشية والاختيار وان لم يكن خُلقن لها فتمامها العبد وقواها بدا الا
منه وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولذلك كانت محبته على عمومات ولو تحققت
المشار كة لم تكن محبته وانما اختلف ظهور مشية الله حتى تعددت بمشية القابل وقا
بليته لما مع ان كلتا يد يمين لاختلاف موكبها وتعدده فتنوعت في ظهورها بالانا
بتنوع محلها الذي تتعلق به ونظيره اشعة الشمس الواقعة على الزجاجات المختلفة
الالوان فتنعكس منها مختلفة وان كانت الاشعة متفقة في نفسها فالاختلاف بما
من العبد ونظيره ايضا كما قال الشاعر : ارى الاحسان عند الحر دينا وعند النذل لكنه
منقصة وذما : كقطر الماء في الاصداف در : وفي بطن الافاعي صار سما : والى ذلك الا
شارة بقول الصاحب ع في دعاء رجب المشتهر باسمك الاعظم الاعظم الاعظم الاجل
الاكرم الذي وضعته على النهار فاضاء وعلى الليل فاظلم ومثل ذلك في فعل الفاعل على ما
رواه الشيخ حسن ابن سليمن الحلي من تلامذة الشهيد الاول وهو شريك الشيخ احمد
ابن فهد الحلي في جيعا روى في كتابه بسنده المتصل الى الصدوق ره انه قال رجل
لعلي ابن الحسين ع جعلني الله فداك ابقدر يصيب الناس ما اصابهم ام بعمل قال ع
ان القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا تحس والجسد بغير
روح صورة لا حراك لها فاذا اجتمعنا قويا وصلحا كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر
واقعا على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئا لا يحس ولو لم يكن
العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم ولكنهما باجتماعهما قويا ولله فيه العون لعباده
الصالحين الحديث فافهم وهذا هو الامر بين الامرين وقد كشفت
القناع لذوي الانتفاع وكثرت الترديد في العبارة بما هو مفيد والحكيم وان كان
الحق فيما قال من بين الثلاثة هو الاوسط لكنه لا يقطع حجة من يعترض الا
اذا كان من اهل العرفان واستفاد من اهل المعاني البيان وكلامنا هذا المن عرفه
قاطع لكل عذر لانه في هذا الشان ثمرة الحجج الثلاث حجة الحكمة وحجة الموعظة الحسنة
وحجة المجادلة بالتي هي احسن ممن سكن بيوتنا واكل وشرب من طعامنا وشرابنا
فليسلك هذا الطريق المظلم بمصباحنا حتى يصل الى الفضاء الواسع والضياء اللا
مع والا فليحذر ولينظر الى قول امير المؤمنين ع للعباد الذين لا يفرقون بين
الليل والنهار قال لما سئل عن ذلك فقال بحر عميق فلا تلجه وسئل ثانية فقال
طريق مظلم فلا تسلكه وسئل ثالثة فقال سر الله فلا تتكلفه الحديث فاذا نظر
الى كلماتي هذه فان عرفت مرادي والا تتكلف سر الله ورده الى الله والى رسوله

والى الحفظة والى من عملوه ذلك وتمام بيان الحجة الثلاثة بايراد كلام في الجملة في الرد
على المعتزلي والاشعري وبيان قول المعتزلي فوض اليهم الاختيار فيها ثم فرع عليه
انهم مستقلون بايجاد ما الخ لا يمكن تعقله مع القدم وانما يكون مع الحدوث لان
القديم لا يكون في ملكه ما لا يريد وهذا لا يجتمع مع الاستقلال بملكه نعم نرجع
قد قال الصادق ع ومن زعم ان الخير والشر بغير مشيئة الله فقد اخرج الله
من سلطانه ومن زعم ان المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ادخله الله النار
قال امير المؤمنين ع في حديث الشامي ولم يملك مفوضا وقال الصادق ع ولو
فوض لم يحصرهم بالامر والنهي وفي رواية حريز بن ابن مسكان عن ابي عبد الله ع
انه لا يكون شيء في الارض ولا في السماء الا بهذه الخصال السبع بمشيئة وارادة وقدر
وقضاء واذن وكتاب واجل فمن زعم انه يقدر على نقض واحدة فقد كفر وعن ابي ٢ الزام فخ
الحسن موسى ابن جعفر ع قال لا يكون شيء في السموات ولا في الارض الا بسبع
بقضاء وقدر وارادة ومشيئة وكتاب واجل واذن فمن زعم غير هذا فقد كذب
على الله او رد على الله هو وهذا الترديد من الراوي وبيان هذا قد مضت الاشارة
اليه فلاحظ كيلا يلتبس عليك الامر من هذين الحديثين اللذين ظاهرهما الجبر
فان هذه السبعة على نحو ما قلنا لك في المشية وقال ابو الحسن الرضا ع ان الله
ارادتين ومشيتين ارادة عزم وارادة حتم وارادة عزم ينهى وهو يشاء ويامر
لا يشاء او ما رأيت انه نهى ادم وزوجته ان ياكلا من الشجرة وشاء ذلك ولم
يشاء ان ياكلا لما غلبت مشيتهما مشية الله وامر ابراهيم ع ان يذبح اسحق ع
ولم يشاء ان يذبحه ولو شاء لما غلبت مشية ابراهيم ع مشية الله فقد ظهر لك
مما مضى بيان المشيتين والارادتين والفرق بين المشية والارادة مذكور
في رواية يونس الاتية وان كنا وعدناك الزيادة واختصرنا خوف الاطالة
هنا الا انه لا باس ببعض الاشارة وهو انه تعلق شاء الامر بالشيء وشاءه مشية
محبة ورضى وقضاء لما علم مشية اقتدار لما لم واختيار لهم وهو واقع وشاء
نفس الامر بالشيء مشية ومحبة ورضى كلك وشاء الا يقع ذلك الشيء مشية
قضاء لا رضى كلك وهذه المشية عن شمال الاول وتلك يمين وانقل الكلام
في النهي وفصل بهذا المعنى في الخصال السبع التي يتوقف عليها الشيء من طاعة
ومعصية وليس للاشعري بمثل اخبار الخصال السبع حجة مع ما يلزمه في منه
ويأتي بعض ما يلزمه فقد ظهر بطلان كلام المعتزلي في قوله بالتفويض ولا ينافي

هذا وهو نسبة التفويض اليه قولنا قبل انه اوّل من قال بالمنزلة بين المنزلتين
لان مراده ليس في هذا وانما هو يقول ان صاحب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر لا في
الشان والا لكان محققا والتفويض الذي حدّاه على الضلالة والكفر وكذا الثواب
والعقاب والوعد والوعيد يحصل بدون القول بالتفويض وغير ذلك واعلم ان
هذا القول هو التفويض لانهم يسمون لهذا تارة مفوضة وتارة قدرية وهم
قدرية هذه الامة ومن كتاب الشيخ حسن ابن سليمان الحلي عن امير المؤمنين ع
قال ان ارواح القدرية تعرض على النار غدوا وعشيا حتى تقوم الساعة فاذا
قامت الساعة عذبوا مع اهل النار بانواع العذاب فيقولون ربنا عذبتنا
خاصة وتعذبنا عامة فيرد عليهم ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر
وساذكر لك بعض الروايات مسرودة شرحها فيما ذكرنا فاعطها التامل الحق
يعطك المذهب الحق وتصدق ما ذكرت ذلك واما قول الاشعري انه لا مؤ
ثر في الوجود الا الله فان اراد بالوجود من حيث هو فخالف عبارته وان ١٢ اراد منه
اراد به الوجود من العباد وافعالهم فقد تقوّل على الله حيث الله يقول انتم
اعلم ام الله والله الذي يعلم ما خلق يقول حكاية عما ينسبون ما عملوه اليه فويل
للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون وقال تع وقالت
اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ما
اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وكقوله تع ان الله
لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون وقال فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة واسند الهداية اليه واسند الضلالة الى نفسها اشعارا
لا يقال انه تع اسند الضلالة لانا نقول ان الاضلال المسند اليه انما هو
استنطاق طبايعهم واختيارهم وقد بيّنه سبحانه في كتابه بحيث لا يكاد يحتاج مع
كثرة التدبّر الى تفسير ومع ذلك انه قد علم ما الخلق اليه صائرون بعلمه الذي هو ذاته
الاوّل الاخر الظاهر الباطن فافهم ثم فافهم وفي الخلق السعيد الذي يستحق السعادة
وما يترتب عليها من الثواب والشقي الذي يستحق الشقاوة وما يترتب عليها
من العقاب وقد اجرى حكمته كما هو انه لا يمضي مفعوله الا مشروحا مبينا وانه
يبلي الاعذار قل فلله الحجة البالغة فلو عذب الشقي قبل ان يعمل مقتضاه واسعد
السعيد لكان للشقي ان يقول لم تعذبني قبل المعصية وتشهد له الخلق فاراد

ان يخبرهم ويستنطق حقايقهم ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة ولا
يستنطقهم الا بما لا يعلمون ولا يكون الا بعد تعريفه لهم بانه لا يقول الا الحق وهو
العليم الخبير وانما يفعل للمصلحة ويأتي بيان هذا الحرف فبعد ان عرّفهم نفسه
وصفاته وافعاله في العالم وفي كتابه وفي انفسهم وعلى السن الهادين كلّفهم بما فيه
نجاتهم واراد ان يستنطقهم بالحق الذي لا يعلمونه ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
ومما استخبرهم به ما قال في لفظ عليها تسعة عشر فقال الكافرون نعجز عن اتمام العشرين
وقال المؤمنون هو اعلم بما خلق وفي ذلك فوائد ذكرناها في كتابه وما جعلنا اصحاب النار
الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والمراد به الاختبار واستنطاق
الطبيعة بدليل ما اخبر به عن مآل فتنة لهم الى ما برز عنهم في عاقبتهم ومما اسنده اليهم
ولم يسنده اليه ولا الى فتنة لهم لكونه منهم وان كان بفتنته كما مرّ ليستيقن الذين اوتوا
الكتاب بموافقته لما في توراتهم وانجيلهم وزبورهم ان الزبانية تسعة عشر ويزداد
الذين امنوا بانه لا يقول الا الحق وانه اعلم بما خلق ايمانا بذلك وهو موافقة للكتب
المتقدمة ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض
والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا واللام في وليقولوا للعاقبة في الظاهر وفي
الباطن مما امرنا بكتمانه ويأتي في رواية صالح ابن الحكم النيلي نظيره وهو من المكتوم
فلما صار وافي عدد الزبانية بعد ما تعرّف سبحانه اليهم بانه لا يفعل الا بعلم وهو
يعلم بما خلق بقولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا لا يتمّها عشرين وبعض منهم يقول
على سبعة عشر اثنين ونحن انتم عن اثنين فيسخرون من الحق ويستهزؤن لانهم
من الذي خبث لا يخرج الا نكدا في ستنضج ما فيه فيفضحوا ما فيهم وهو سبحانه سيجزيهم
وصفهم فكان منهم ما في علمه بابتلائه واستنطاقه لهم بعد هداية النجدين وايلاء
الاعذار والتقديم بالوعد والتلطف في الترغيب فبلغت حجته وعلت كلمته وما هو
ربك بظلام للعبيد وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا اي عقلا او نبيا فلا
يهدي الضلالة سبحانه لهم ولذلك قال بعد قولهم ماذا اراد الله بهذا مثلا وبعد
قوله للمؤمنين ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون قال يضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء وشاهد ذلك قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما
الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم انه لا يمثل بالبعوضة فما فوقها وهو جناحها
او الذبابة الا ما هو كذلك بحيث لا يحسن ان يمثل به النسر والفيل لانه يقول الحق ولا يستحيي
واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يعني ان البعوضة والذبابة

مستهجنة في المثل ولا يعلمون ان تمثيل حبة الخردل بالجبل اهجن واقبح فاستنطقهم بما يبين
جوانحهم من الانكار في الاظلة وقبل ذلك وبعد ذلك مرة بعد اخرى وما كانوا مؤمنين بما
كذبوا به من قبل فقال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا اي يضل بالمثل المستهجن به كثيرا ممن
مارى فيه ويهدي به كثيرا ممن علم انه الحق من ربهم وكما وعد سبحانه على لسان نبيه موسى
عم بني اسرائيل لتنزيل التورية باربعين يوما وامره بكتمان عشرة ايام عنهم لما علم منهم
توعد موسى عم بذي القعدة وذلك بعد ان عرفهم عن الله سبحانه انه يمحو ما يشاء
ويثبت ولا يمحو ولا يثبت الا لحكمة وقال لهم عنه انه لا يسئل عما يفعل وميعادي ثلاثون
يوما ذو القعدة وربي يمحو ما يشاء ويثبت وهذا اخي خليفتي عليكم فان نسيتم او جهلتم
وهو الذي نصبه الله لكم يذكركم ويعلمكم فلا ترغبوا عنه فتهلكوا فلما مضى الطور وصام
واستاذن اخر ذي القعدة وكرهت الملائكة ذلك منه وهو صائم امره باتمام عشرة ايام
لذلك وليبتلي ما في صدور قومه فعبد الظالمون منهم العجل بفتنة ابتلائهم واستنطق
حقائقهم باخفاء عشرة ايام فكذب لذلك الجاحد ولولاهم قبل ذلك لم يجد والنجاة
من الاقرار فلما وجدوا اظهروا ما كتموا وازداد بذلك المؤمنون ايمانا لثباتهم على
ايمانهم مع ما يخالف اوهامهم ولايمانهم بالبداء الذي ما بعث نبيا الا به فقال تعالى
حكاية عن موسى عم في ذلك ان هي الا فتنتك اي اختبارك وابتلاؤك تضل بها من تشاء
اي بكتم العشرة اي بمحو اظهارها واثباته وتهدي بذلك من تشاء وامثال ذلك كثير
وعلى ما ذكرنا لك ينكشف لك الحال من الهداية والاضلال وايضا على ما مضى في قول الا
شعري انه تعالى المتعال عن الشريك في الخلق والايجاد لانه بينا في الوجوب فكذا يتعالى
عن القبيح والكفر والالحاد وتقدس عن ظلم العباد لانه بينا في الغنى المطلق وقد رد
هو سبحانه على من رد بذلك حيث يقول واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا
والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربي با
لقسط الاية وقال فذرهم وما يفترون وقال وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون
ما كانوا يعملون وقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه
لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون فلينظر العاقل في هذه الايات المحكمات كيف صرفها
الاشعري الى المتشابه وهل هذا الا ابتغاء التاويل وانت اذا تدبرت القرآن كفاك
في هذا الشأن بانه الله فعل الطاعة بالعبد والعبد فعل المعصية بالله على نحو ما مر اي ان
العبد يفعل الطاعة بامر الله ومشيته ورضاه ومحبته وتوفيقه ونعمته ويفعل المعصية

بقوة الله ونعمة الله وهو قضائه وحق لانه وقول الاشعرى لا علة لفعله خطأ ظاهر فان الله سبحانه
العالم بفعله نص على العلة فقال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون افحسبتم انما خلقنا
كم عبثا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وحيث انه لم يعرف العلة انكرها و
عليه بعد ما سمعها من ربه في كتابه ان يسلم والله يقول بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه
ولما ياتهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واعلم ان اصحا
بنا من اهل النظر اثبتوا العلة وسلموا ولم يدعوا معرفتها وردوا ذلك الى الله والى
الرسول ص والى الحفظة وانا اشير الى العلة وذلك انما كشفنا للامر الشريف المجرد وابينا
في اللفظ المردد هو ان الله واحد لا شئ معه ازلا ابدا وسرمدا وليس ثم شئ غيره
فيكون معروفا بالتميز معلوما بالحدوث والتحيز تعالى ربي وهو الان كما كان فخلق
كل شئ من خلقه في ازمنة وجوده وامكنة حدوده فلذلك لا تتفاوت مفعولاته ليعلم الا
تتفاوت ذاته والا زمان له ولا مكان فجعل بعضها علة لبعض وصفة بعض علة لذات
اخر وبالعكس ليعلم الا علة له وجعل بعضها محتاجا الى بعض ليعلم الا حاجة به
الى شئ ولا دور لاختلاف حيثياتها وتعاكس حركات افلاكها ولا تسلسل لاحاطته
بما لا يتناهى من الممكنات واحصى كل شئ عددا فهو وراء ما لا يتناهى بما لا يتناهى كان الله
عليه قال الله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ولولا دفع الله بعضهم ببعض لفسدت الارض
فجعل الدفع علة لنظام الارض واهلها وما فيها كما جعل التوحيد علة لنظام السموات
والارض قال تع لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ففساد الارض بعدم الدفع و
فساد السموات والارض بعدم التوحيد ومجرى العلة واحد وان كان في كل بحسبه
وقال تع وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك
ليميز الخبيث من الطيب واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه
حقا ولكن اكثرهم لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا
كاذبين فخلقهم لينقل بهم حوائجهم من بعض الى بعض فاصحاب اليمين وصفاتهم نهايات
كمالات تماوهي اليمين ومنها خلقوا واليها يعودون واصحاب الشمال وصفاتهم من
خلف الرحمة وهو الغضب لانهم هم وصفاتهم نهايات كما لا يتناهى هو الشمال ومنها خلقوا
واليها يعودون قال تع الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال الصادق ع لابي بصير و
للرحمة فتدبر بهذه الاية تكفيك وذرهم في خوضهم يلعبون وقال تع الخبيثات للخبيثين
والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وقال تع ومن اياته ان خلق
لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم

من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجس الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به
الاقدام الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
فانظر الى هذه العلل الظاهرة وبالجملة فالقرآن مشحون بان فعله الغاية والعجب كل العجب
من الاشعري يسمع الله يقول في كتابه فعلت كذا لكذا وهو يقول انما فعلت لا لكذا
ولكن هذه من احد الكبر من اقواله واعتقاداته وقول الاشعري لا يسئل عما يفعل
وهم يسئلون ليس فيه له حجة هو لا يسئل عما يفعل لا يحكم عليه ولانه لا يفعل الا بعلم
وحكمة قال تعالى تبارك الله احسن الخالقين وهم يسئلون لجهلهم ولانه الحاكم عليهم
وقوله لا مجال للعقل في تحسين الافعال وتقبيحها بالنسبة اليه ممنوع فانه لو لم يكن
للعقل مجال بطلت النبوات والحجت الدعاة وان تقع التكليف لانه تعالى يقول افلا
يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند
غير لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فكيف يامرهم بالتدبر ويلومهم على عدم الفهم وقد
بين انهم يعرفون الاختلاف والا لا فرق بين ما من عنده وما من عند غيره الا الا
ختلاف وهو تعالى ان كل شيء يحسن بالنسبة اليه من اختلاف وائتلاف ويعلم ان لا مجال
لعقولهم الا يعلم من خلق ولانه لو كان للعقل مجال بالنسبة اليهم لا بالنسبة اليه
لان تقع حكم قوله تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم افلا تبصرون وايضا
من ابن الفرق فان كان منكم فقد جعلتم القرآن عضين اذ فيه فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وفيه ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية وان قلتم ﴿امثلا منكم﴾
منه فهو تقول عليه لانه قبح ذلك منه كما قبحه منهم حيث قال الله تعالى ان الله
لا يأمر بالفحشاء ومن ذلك قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن وهذه الجال العقل في الاحوال الثلاثة الذي تتوقف عليه
الدعوة الى سبيل الرب وقوله بل يحسن صدوره عنه مصادرة اذ لو كان يحسن
صدوره عنه لما قبحها منه من عباده تعالى وتوعد معتقد ذلك حيث يقول
الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم واعد
لهم جهنم وساءت مصيرا وقوله والاسباب التي ارتبط بها وجود الاشياء بحسب الظاهر
ليست اسبابا حقيقة ولا مدخل لها في وجودها متناقض لان قوله بحسب الظاهر ينافي
قوله ولا مدخل لها الا ان الارتباط في الظاهر له مدخل في وجودها الا ان تكون تقع بدون
هذه الاسباب ولم تقع قط الا في معجز وهي اعظم الاسباب الذي اولى الالباب وهذا المدخل
في مقام الخلق وهذه الاسباب اسباب حقيقة في كل بحسبه ولهذا اسند الفعل اليه وهو

اعلم بما قال وبما خلق وقوله اجرى عادته الحق الا انه على سبيل الوجوب واللزوم في رتبة
الامكان الا تسمع انه تعالى قال فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا وقوله الله ثم
فكل من الاسباب والمسببات صادرة عنه ابتداء ام مدخول لانه يلزم منه ان اعتقاد المشر
كين والكفار بان الصنم الهة وانه المعبود في الارض وان تسميتهم له بذلك كلها مخلوقة
لله والاشعري لا ينكر ان كل مخلوق له معلوم له وهو يقول نعم ام تنبئونه بما لا يعلم
في الارض والاشعري يقول بل خلقه ويعلمه ما هذا الا شيء تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقال في هذا ان ادعوا للرحمن ولدا وما ينبغي
للرحمن ان يتخذ ولدا والاشعري يقول انما دعوا للرحمن ولدا بفعله وخلقه ومشيته
ولا مؤثر في الوجود الا الله فكيف يستعظم ما هو منه وعن امره وينكره تعالى في قوله
تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين وقوله في ذلك لا تعظيم
لله تعالى الخ فيه ان تنزيه الله وقدرته وفعله عن قبائح افعالهم اشد تعظيما للقدرة
وهو على طبق تقديس وقوله وتقديس لهما عن شوائب النقصان بالاحتياج في التاثير
الى امر آخر قد اجاب عن هذا الحرف الحكيم بما لا مزيد عليه بان قدرة الله في غاية
الكمال وانما الحاجة راجعة الى المقدور في قبوله للتاثير الى امر يتوقف عليه لنقص
في قابليته وتمام ذلك ذلك الاخر ولقد اطلت في هذه الابحاث ولم اهذب العبارة
لئلا تخفى الاشارة فتدبر واحفظ ما مذهب الحكيم كما مر فهو على نهج الحق في المسئلة وان كان
على طريقة البحث ولم يستقص فيه على شقوق المسئلة وكلامنا ليس على طريقة البحث بل
بالكشف على نحو البيان ولهذا الابين وجه الاستدلال من الدليل غالبا فدع الالفاظ
وخذ المعاني تجد ما جواهر نفيسة تسير بك في انحاء الافاق وتعرج بك على معاني المبدأ و
وتسقيك شربة لا تظمأ بعدها ابدا وستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله
ان الله بصير بالعباد وثانيا نورد لك ما سنح من الاخبار مما وعدناك به مما هو كاف
الفقير في الاستبصار ففي الكافي في صحيحة البزنطي عن ابي الحسن الرضا ع
قال الله ابن ادم بمشيتي كنت انت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي اديت
فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك سميعا بصيرا قويا ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وذلك اني اولى بحسناتك منك وانت
اولى بسيئاتك مني وذلك اني لا اسئل عما افعل وهم يسئلون وعن ابي بصير قال
كنت بين يدي ابي عبد الله ع جالسا وقد سأله سائل فقال جعلت فداك يا ابن
رسول الله ص من اين لحق الشقاء اهل المعصية حتى حكم لهم بالعذاب على عملهم فقال

ابو عبد الله ع انما المسائل حكم الله عز وجل لا يقوم له احد من خلقه بحقه فلما حكم بذلك
وهب لاهل محبته القوة على معرفته ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم اهله ووهب لاهل
المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه ومنعهم اطاقة القبول منه فوافقوا ما
سبق في علمه ولم يقدروا ان ياتوا حالا ينجيهم من عذابه لان علمه اولى بحقيقة التصديق
وهو معنى شاء ما شاء وهو سره وقال علي ع في مسيره الى الشام في الحديث المشهور
لشيخ سأله وتظن انه كان قضاء حتما وقدرا لازما انه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب
والامر والنهي والزجر من الله وسقط معنى الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب ٢ تلك
مقالة اخوان عبدة الاوثان وخصماء الرحمن وحزب الشيطان وقدرية هذه الامة
ومجوسها ان الله تبارك وتعالى كلف تخييرا ونهى تحذيرا واعطى على القليل كثيرا ولم يعص
مغلوبا ولم يطع مكرها ولم يفوض مملكا ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ولم
يبعث النبيين مبشرين ومنذرين عبثا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من
النار وعن يونس قال قال لي ابو الحسن ع الى ان قال قال يونس ولكني اقول
لا يكون الا ما شاء الله واراد وقدر وقضى فقال ليس هكذا لا يكون الا ما شاء الله
واراد وقدر وقضى يا يونس تعلم المشية قلت لا قال هي الهندسة ووضع الحدود
من البقاء والفناء قال ثم قال والقضاء هو الابرام واقامة العين قال فاستاذنته
ان ياذن لي ان اقبل راسه وقلت فتحت لي شيئا كنت عنه في غفلة وعن
ابراهيم بن عمر اليماني عن ابي عبد الله ع قال ان الله خلق الخلق فعلم ما هم صائرون
اليه وامرهم ونهاهم فما امرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه ولا
يكونون آخذين ولا تاركين الا باذن الله وعن ابي عبد الله ع قال قلت اجبر
الله العباد على المعاصي قال لا قلت ففوض اليهم الامر قال لا قلت فماذا قال لطف
من ربك بين ذلك وعن ابي عبد الله ع لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين
قيل وما امر بين امرين قال مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته
ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت انت الذي امرته بالمعصية
وعن صالح النيلي قال سألت ابا عبد الله ع هل للعباد من الاستطاعة شيء قال
فقال لي اذا فعلوا الفعل كانوا مستطيعين بالاستطاعة التي جعلها الله فيهم قال
قلت وما هي قال الآلة مثل الزاني اذا زنى كان مستطيعا للزنا حين زنى ولو انه
ترك الزنا ولم يزن كان مستطيعا لتركه اذا ترك قال ثم قال ليس له من الا
ستطاعة قبل الفعل قليل ولا كثير ولكن مع الفعل والترك كان مستطيعا قلت

٢ ولا محمدة للمحسن ولكان المذنب اولى بالاحسان من المحسن ولكان المحسن اولى بالعقوبة من صح

فعلى ما يعلمه قال بالحجة البالغة والآلة التي ركب فيهم ان الله لم يجبر احداً على معصيته ولا
اراد ارادة حتم الكفر من احد ولكن حين كفر كان في ارادة الله ان يكفر وهم في ارادة الله
وعلمه الا يصيروا الى شيء من الخير قلت اراد منهم ان يكفروا قال ليس هكذا اقول ولكني
اقول علم انهم سيكفرون فاراد الكفر لعلمه فيهم وليست ارادة حتم وانما هي ارادة اختيار
هو اقول وجميع ما اشرت اليه بالكتابة فقد اشير اليه في هذا الحديث الشريف بالبيان
عن اراد السر المكتوم عن الاغيار وفتح لا خفائه بمستتر الاسرار فعليه بتفهمه
على وجه في وفق فانه ودلالة قول الرضا عم الذي مضى بعضه قال عم ان الله لم يطع
باكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما اقدرهم
عليه فان ائتمر العباد بطاعته لم يكن عنها صاداً ولا منها مانعاً وان ائتمروا بمعصيته
فشاء ان يحول بينهم وبين ذلك فعل وان لم يحل وفعلوه فليس هو الذي ادخلهم
فيه ثم قال عم من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه هو وامثال ذلك كثير
وبيان هذه الاضافات يعرف مما مضى والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
الطاهرين قد فرغ من تسويد هذه الرسالة

محمد تقي ابن مؤمن الحسني

في شهر جمادى

الاولى

١٢٤

سنة

ابو عبد الله